

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الرابعة والأربعون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بمثل واحد فقط تحدث عن أهمية اختيار الزوجة المناسبة: "من يجد زوجة جيداً خيراً وينال رضى من الرب". وتكلمنا عن مفهوم الكتاب المقدس للزواج الذي يؤكد على الاتحاد الكامل بين الرجل والمرأة. ثم تحدثنا عن موقف المسيحية من الزواج والطلاق.

هل تعلم مستمعي أنه إذا وجد الشاب زوجة مناسبة وحكيمة فهذه بركة من الله له؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب". (أمثال ١٩: ٤ اب) إن الله إذا أراد أن يبارك إنساناً، فهو يرشده إلى زوجة متعقلة تكون شريكة حياته مدى العمر. فهل تطلب من الله صديقي أن يباركك بأن يرشدك إلى الزوجة الحكيمة.

إن الزوجة غير المناسبة ستكون وبالاً عليك وعلى مستقبلك ومستقبل أولادك. كتب أيضاً سليمان الحكيم في هذا الأمر قائلاً: "ومخاصمات الزوجة كالوكف المتتابع". (أمثال ١٨: ٣ اب) أي أن المرأة الجاهلة التي تثير المشاكل والمخاصمات لزوجها ولأهل بيتها، فهي تشبه الماء الذي ينزل نقطة نقطة من الأنبوب، مثيرة الإزعاج الكبير. والأمر المؤسف أنه توجد زوجات لا هدف لهنّ سوى إثارة المشاكل وبدء المخاصمات.

إن نجاح العائلة التي هي الخليّة الأولى في المجتمع، يعتمد اعتماداً كبيراً على العلاقة بين الزوج والزوجة. فإذا كانت هذه العلاقة سليمة ووطيدة، تقود العائلة إلى النجاح، وتسير بها إلى شاطئ الأمان، حتى لو كانت عواصف الحياة وتجاربها من حولها قاسية ومؤلمة.

ما هي نظرة الكتاب المقدس ومفهوم المسيحية إلى الفقر والفقراء؟ لقد دعانا الله في عدة آيات إلى العطف على الفقراء والمظلومين ومساعدتهم. ودان في نفس الوقت الأغنياء الذين يظلمون الفقراء ويستغلونهم، والذين يفتخرون بغناهم.

كتب سليمان الحكيم عدة أمثال حول هذا الموضوع الاجتماعي الهام. فقال في المثل الأول: "بتضرعات يتكلم الفقير. والغني يُجاوبُ بخشونة". (أمثال ١٨: ٢٣) أليست هذه حالة الفقير المعدم الذي يحاول أن يستعطف الغني المتسلط المتعجرف؟ فهو يتكلم معه بتضرع طالباً منه الرحمة والعون، بينما نرى الغني في المقابل يستهزئ به، ويجاوبه بخشونة وعجرفة. إن هذا المثل يدين الغني المتسلط ويفضح أعماله. وكأنه يدعونا لكي نبتعد عن مثل هذه الأعمال أو التصرفات غير اللائقة، وأن نحاول مساعدة الفقير والعطف عليه.

وفي مثلين آخرين يقارن سليمان الحكيم بين وضع الفقير ووضع الغني في المجتمع. فكتب قائلاً: "الغني يُكثر الأصدقاء والفقير منفصل عن قريبه" و "كل إخوة الفقير يُبغضونه. فكم بالحري أصدقاؤه يبتعدون عنه". (أمثال ١٩: ١٤ و ٧) حقاً إنه لأمر مؤسف للغاية أن ينظر المجتمع إلى الفقير هذه النظرة السلبية. حيث نجد الكثيرين يتملقون الغني ويتقربون إليه، بينما يبتعدون عن الفقير ويتجنبونه. حتى وصل الأمر إلى حد أن إخوة الفقير نفسه يُبغضونه، وأصدقاؤه يبتعدون عنه.

فما هي نظرتك يا صديقي إلى الفقير؟ هل تحنقره وتبتعد عنه؟ أم على العكس من ذلك تحاول مساعدته؟ وهل تعلم أن الفقير هو بالنسبة لله تعالى أفضل بكثير من الشخص الشرير؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "زينَةُ الإنسانِ معروفةٌ والفقيرُ خيرٌ من الكذوبِ". (أمثال ١٩: ٢٢) أجل يا صديقي لا توجد عند الله محاباة، فهو ينظر لجميع البشر على السواء. لكن الله في نفس الوقت هو إله عادل، ولهذا فبالنسبة إليه إن الفقير هو أفضل بكثير من الشخص الشرير الكذوب. ولهذا دعانا لكي نساعد الفقير ونعطف عليه.

ولقد كتب الحكيم هذا المثل قائلاً: "من يرحم الفقير يُقرض الربَّ وعن معروفه يُجازيه". (أمثال ١٩: ١٧) اعتبر المثل هنا أن من يرحم أو يساعد الفقير يكون كمن يعطي الرب نفسه، ولهذا إن الله لا بدّ أن يجازيه على معروفه هذا.

صديقي المستمع، لقد دان الله في عدة آيات مقدّسة الأغنياء الذين يستغلّون الفقراء. فكتب الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: "هلمّ الآن أيها الاغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة. غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدنا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم في الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني ربّ الجنود. قد ترفهتكم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما في يوم الذبّح." (رسالة يعقوب ٥: ١-٥)

دعا الرسول يعقوب في هذه الآيات المقدسة الأغنياء الذين يظلمون الفلاحين الفقراء أن يكونوا على شقاوتهم القادمة. وأن غناهم لن يفيدهم عندما تأتي دينونتهم من الله. وهو يؤكد أن الله قد سمع صراخ الفلاحين الفقراء، الذين طالبوا الله بالتدخل لكي ينقذهم من ظلم الأغنياء وجشعهم. مستمعي الكريم، إن الله هو إله عادل كما ذكرنا قبل قليل، وهو لا يبدأ أن يدين كل من يظلم أخاه الإنسان. وأحياناً كثيرة تكون الدينونة هنا على الأرض. لهذا تأتي الكوارث على الغني الظالم، ويفقد بين ليلة وضحاها كل ما يملكه من مال وجاه.

إن الله يدعونا في المقابل لكي نعطف على الفقراء ونساعدهم. ولهذا كتب الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية قائلاً: "فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل". فإذا حسبنا لنا فرصة فنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الإيمان". (غلاطية ٦: ٩ و ١٠) لقد كانت الكنيسة المسيحية عند نشأتها تساعد الفقراء. وقامت الكنيسة المسيحية على مدار التاريخ بعدد كبير من المشاريع الخيرية، التي أدت إلى إنقاذ الكثيرين من الفقراء ومساعدتهم على بدء حياة جديدة.

وأنت صديقي ما هي نظرتك إلى الفقراء؟ هل تحتقرهم وتتجنبهم؟ أم تعطف عليهم وتحاول مساعدتهم؟ صحيح إن مساعدتك لهم لا يعني حصولك على غفران الله لذنوبك، لكن هذا سيجعلك تكتشف محبة الله لك فتلجأ إليه طالباً رحمته وخلصه الكامل.